11 me Année No. 532

Lundi - 13 - 9 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٣٢ « القاهرة في يوم الإثنين ١٣ رمضان سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٣ سبتمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة
٧٢١ آباؤنا وأمهاتنا وأبناؤنا ... : الدكتور زكي مبارك ...
٧٢٥ حكاية الوفد الكسروي : لأستاذ جليل ... ...
٧٢٧ نشأة الدرامة الانجليزية ... : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٧٣٠ اللغة العربية .. .. .. : الأستاذ محمد عرفة ... ...
٧٣٢ لافونتين ... ... : الأستاذ محمد حسني عبد الله ...
٧٣٤ أعداء النساء . ... : السيدة وداد سكاكيني ...
٧٣٧ موكب الحسن .. [قصيدة] : الأديب أحمد أحمد العجمي ...
٧٣٧ من شعر الأطفال « : الأستاذ علي متولي صلاح ...
٧٣٨ كلمة بريئة ... . : الأستاذ أحمد فتحي القاضي ...
٧٣٨ الأعراب ... ... : الأديب إحسان عبد القدوس
٧٣٩ من رسائل الرافعي : وحي القرآن باللفظ . القراءات .. } الأستاذ محمود أبو رية ...
٧٤٠ تنبيه وتنبيه ... ... : الأستاذ محمود عزت عرفة ...
٧٤٠ دراسات عن مقدمة ابن خلدون : ... ...

الى الأستاذ الزيات

آباؤنا وأمهاتنا وأبناؤنا

للدكتور زكي مبارك

بعد منتصف الليل من هذا المساء (٢٩ / ٨ / ٤٣) وسوس الهتاف من جريدة الأهرام :

— ألو ، ألو !

— خير ، من المتكلم ؟

— صالح البهنساوي ، هل أزعجتُك بالحديث في مثل هذا الوقت ؟

— لم تزعجني ، ويسرني أن أسمع صوتك ، فما عندك من الأخبار ؟

— عندنا خبر يقول : إن والدة الأستاذ الزيات ماتت ، وأردنا أن نعرف منك مبلغ هذا الخبر من الصحة قبل أن ننشره في الوفيات

— لم أسمع هذا الخبر إلا منك ، فلا موجب لنشره قبل التثبت

ثم رجعت إلى نفسي أسأل عن مواساة الأصدقاء بعضهم لبعض ، فقد كان يجب أن أكون أول من يعرف هذا الخبر إن كان صحيحاً ، لأحضر دفن السيدة التي أنجبت هذا الصديق ، ولأشترك في مواساته مع الأقربين

وحانت منى التفاتة إلى الماضى يوم ماتت أمى ، فقد طلبتْ بإلحاح أن ترانى قبل أن تموت ، وكان أبى يسوّف لأنه يعرف أنى أؤدى أول امتحان فى الجامعة المصرية ، وكانت النتيجة أن تدفن وأنا غائب ، وأن تبقى الحسرة على أن لم أحمل نعشها على كتفى

هل كان أبى يعرف أن توديع أمي فى لحظاتها الأخيرة أحبّ إلىّ من جميع الغنائم العلمية ؟

لو أنه عرف لأعفانى من لوعة سأعانى نيرانها إلى آخر أيامى

وقد لطف الله بأمى فماتت قبل أن يموت أخى سيد بنحو سنتين ، فلم تشهد فجيعة الدار فى موت فتًى لم ينتصر عليه قاهر غير الموت

دخلت على أخى سيد وهو فى الحشرجة فنهض من فراشه ليقبّل يدى ، ثم أسلم روحه إلى بارىء الأرواح

وكانت الفجيعة الأخيرة هى موت أبى ، ولكنها فجيعة نفعتنى أجزل النفع ، فقد هوّنت الدنيا فى نظرى حين صوّرتها بالصورة الحقيقية ، صورة الصحراء التى لا تضمن لسكانها من الضراغم غير الفناء

وهل تعزيت عن أبى وقد طال الفراق ؟

أريد أن أخفف لوعتى فأذكر أنه عاش ما عاش وهو يعتقد أننى أوفى الأبناء : فما راجعته فى كلمة ، ولا رفضت له نصيحة ، ولا استجزت المخالفة عن أمره فى شأن من الشؤون

كنت ابناً بارًّا بأبيه ، وكان يرى بأبى يتمثل فى صورة لم تَخْفَ عليه ، فقد سمعت أنه تحدث بها إلى بعض الأصدقاء ، وهى أنى أخفى عنه همومى وأحزانى ، فما بات ليلة وهو مغموم بسببى ، ولا وصل إليه حزن من طريقى ، ولا عرف أن الأبناء قد يكدرون حياة الآباء

والحق أنى كنت أراعى معنًى هو غاية فى الخفاء ، ومراعاة هذا المعنى كانت أعظم عمل أديته فى حياتى ، فما ذلك المعنى الدقيق ؟

كانت الأقدار قضت بأن تمزّق أملاك جدّى كل ممزّق ، فلا يبقى منها غير أوشال ، وكان أبى آخر المنقود ، فلم تكن له مندوحة من أن يجاهد ليستبقى ومضات من الذهب المضاع

كان أعمامى جبابرة وكانوا قساةً وطغاة ، وكانوا أيضاً متجبين ، فلا يمشى الرجل منهم إلا وهو موصول الجناح بأبناء أشدّاء ، فماذا يملك أبى فى مقاومة أعمامى ؟

لقد ناضلهم وحاربهم ، واستطاع أن يستخلص بضعة فدادين يعيش من ريعها عيش الكفاف ، إلى أن يجود الله بالغنى حين يشاء

وكانت دار أبى هى الدار التى مات فيها جدى ، لأن جدتى كانت آخر زوجاته التاليات ، وفى تلك الدار نشأت ، فماذا رأيت ؟

كنا نستيقظ على زلزال يتمثل فى سقوط إحدى القاعات ، فيخفّ إلينا الجار الأقرب وهو عمى الشيخ سيد أحمد وبيده فانوس ومعه أبناؤه ليعاونوا على رفع الأنقاض

كانت أخطر فاجعة تهون على أبى ما دامت بعيدة عنى

هل أستطيع تأدية واجب الوفاء لأبى ، ولو نظمت فى رثائه ألف قصيد ؟

وفى إحدى العصريات دخلت الدار فوجدت أمى تخرج وهى مذعورة ، فماذا وقع ؟

كانت أمى رأت ثعباناً فى أبراج الحمام فنزته بالنار ليختنق ، فامتدت النار إلى سقوف الدار فحوّلتها إلى نيران

وفى لحظة أو لحظتين بدت شهامة أهل سنتريس

لقد تجمعوا من كل جانب رجالاً ونساء ليخمدوا تلك النيران بالماء والتراب

وماذا يملك أولئك الأوفياء ؟

لم يكن فى بلدنا غير آبار معدودات ، فكان من الصعب إخماد نيران لا يخمدها غير البحر المحيط ، وكانت العاقبة أن يحترق البيت من جميع الجوانب وأن يمسى بلا سقوف ، مع قسوة الشتاء

ونظر أبى فرآنى بعافية ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم جلس على مصطبة المضيفة وهو فى غاية من الاطمئنان

وفى أعقاب السهرة الجيّاشة بكلمات المواساة سمعنا ضجيجاً يخطر فى البال فى مثل تلك الحال ، فما ذلك الضجيج ؟

رأينا جماعة العيسوية تغزو دارنا بركائب محملة بأقوات تكفينا عشر سنين ، فوقف أبى وقال : إن باب الدار لم يحترق ، وسأغلقه إن لم ترجعوا مشكورين

كان مقام أبى فى تلك الليلة مقاماً رهيباً ، فقد أتت النيران

على جميع الأشياء ، وتركتنا بلا قوت ، وإن لم أذكر أنى نمت فى تلك الليلة بلا عشاء

ما الذى كان يمنع من أن يَقبل أبى مواساة أعمامى ؟

منعه الخوف من أن يمنّ عليه أخٌ أو صديق فى الأيام المقبلات

كان أعمامى كراماً برغم ما أرادت الأقدار فى تحيّف ما ورثوا من الثراء العريض ، ولكن أبى رفض معروف إخوة سيحاربهم أو سيحاربونه بعد يوم أو يومين

تمثّلتْ لى متاعب أبى فى حياته حين شببت عن الطوق ، فقررت إعفاءه من التعب إلى آخر الأيام من حياته الغالية

أردت أن أكون لأبى ابناً وأخاً وصديقاً فكنت ، وقد محوت عن صدر أبى تلك السطور السُّود ، سطور الشقاء بالأهل والأقرباء

هل عرف أبى أن له ابناً تمتحنه الحياة ؟

لقد أخفيت همومى عن أبى فكانت تصل إليه وهى أساطير ، وكان لا يتوهم أن كيد الدنيا يصل إلى من يكون فى مثل عنفوانى وأنا الرجل الذى عرفه أبى ، فلتحاربنى الدنيا النادرة إن كانت تطيق

لم أنس يوماً أن أبى تعب فى شبابه حتى شبع من التعب ، ولم أنس لحظة أن تكدير كهولته بسببى قد يكون إثماً موبقاً يكدر ما أرجو لحياتى من صفاء ، ولهذا المعنى حرصت على أن يرانى باسماً فى كل وقت ، وأن يرانى غنياً عن الناس فى جميع الأحايين ، وهل يفتقر المؤمن إلى الناس ؟

لم تكن الدنيا سمحت بأن تخلو حياتى من متاعب ، ومع هذا أخفيت عنه جميع آلامى ، فلم يتصورنى إلا رجلاً خلَتْ حياته من المصاعب والأهوال

كان سلوكى مع أبى سلوكاً هو الصورة المنشودة لأدب النفس ، ولعل الله يتفضل فيتقبل دعواته الطيبات وهو يعانى مرض الموت ، فما مات أب راضياً عن ابنه كما مات أبى وهو راضٍ عنى

وهنا أتذكر أشياء تعدّ من الغرائب ، أشياء متصلة بحياة أمى ، فما تلك الأشياء ؟

كانت أمى تفرح بالمرض أشد الفرح ، لأنها كانت تؤمن بأن دعاء المرضى دعاء مستجاب ، فكانت تقضى لياليها الأليمة فى دعاء الله بأن يجعلنى من الموفقين . كانت تدعو الله وهى توقن أنه يسمع ويجيب ، ولم يخطر فى بالها أبداً شىء مما يخطر فى بال أهل الارتياب

كانت أمي سيدة مؤمنة ، وكان إيمانها موروثاً عن أمها وأبيها ، وكانا زوجين قانتين لا يعرفان غير فاطر الأرض والسماء

ومع أن المألوف فى كل أرض أن الأم لا تستريح كثيراً إلى زوجة ابنها ، فقد كانت أمى تحبنى فى زوجتى ، وتصفها بأجمل الأوصاف ، وتخصها بكثير من الدعوات ، بحيث عُدّ سلوكها من أندر ما يقع فى حياة النساء

وكذلك كان حال جدى لأمي ، فقد كان حين يزور دارنا بعد صلاة العيد يبدأ بالسؤال عن زوجات أبى ، سؤال الوفاء لا سؤال الرياء ، ثم يدعو الله أن يديم عليهن نعمة العافية والقبول

أما أمر أبى فى تربيتى ، فكان عجباً من العجب ، كان لا يتناول طعاماً بدون أن أشاركه فيه ، ولو كان طعاماً أعدته له إحدى الزوجات المحظيات

كنت أدخل الدار مع الليل ، والشّواء يفوح والنوم فى جفونى ، فآوى إلى مضجعى وأنا أرجو أن يعفينى أبى من مشاركته فى عشائه المرموق ، ولكنه لم يكن يتناول طعاماً بدون حضورى ولو كان تحفة عروس

من الذى أوحى إلى أبى ما غاب عن كبار المربين ؟

كان أهلى يقولون إن الطفل يحتاج إلى تأسيس ، وكانوا يرون أن الطفل المؤسَّس يعيش فى قوة إلى آماد طوال

ثم دارت الأيام واستقللت عن أبى كل الاستقلال ، فقد أكرمه الله بالعيش إلى أن يرانى رجلاً له أهل وأبناء وأملاك ، ومع هذا كان يرانى ضيفه حين أزور سنتريس ، ويبالغ فى الكرم فلا يتركني لحسن الفهم فى رعاية ضيوفى ، وإنما يتقدم فيكرمهم بأسلوبه الجميل ، أسلوب الرجل المفطور على السخاء الفضفاض

ولن أنسى أنه كان يناجى المسيو دى كومنين مناجاة الرفيق للرفيق ، مع أن لغة التفاهم غير موجودة بأى شكل ، فكان

من ذلك دليل على أن الألسنة أقل إفصاحاً من القلوب

كان لى أب وكانت لى أم ، وأنا اليوم يتيمٌ كهل ، واليتيم الكهل أعرف باليُتْم ، كما قال أخونا الأستاذ محمد الهراوى ، طيّب الله ثراه !

أما بعد فأنا لا أوصى باجترار الأحزان ، ولا أدعو إلى أن نطيل البكاء على آبائنا وأمهاتنا ، فذلك يؤذيهم فى عالم الأرواح وإنما هى لوعة نزجيها كارهين لا طائعين ، وهى على قسوتها دون ما يجب فى تسجيل الوفاء

ثم ماذا ؟ ثم يكون الحديث عما نفقد من أبنائنا ، وأنا ذقت مرارة الثكل مرات ، إلى أن لطف الله فأعفانى من ذلك العناء وسيتفضل جل شأنه فيرحم جفونى من دموع الثاكلين ، لأنه أرحم الراحمين

ومن واجبى نحو قرائى أن أدلهم على المذهب الذى سلكته فى ذلك الجحيم :

حين ذقت الثكل أول مرة رأيت له طعما متفرداً بين طعوم الأحزان ، رأيته يقلقل أضراسى ويكاد ينقلها من مكان إلى مكان ، ورأيت تعزية المعزين تزيد أحزانى ، فقررت أن لا يقام للطفل الميت مأتم ولا عزاء ، وقررت أن لا أسمع بكاء أمه عليه ، وأن لا يُذكر اسمه فى البيت ، وأن يمضى إلى من وهبه ثم استرده بلا عويل ولا صياح

كنت أقول : هو لنا عند الله ، فلنتركه ذخيرة تنفعنا يوم الحساب ، إن كنا مؤمنين

والواقع أن هذه أعظم شجاعة بدت منى فى حياتى ، فالطفل لا يموت إلا بعد أن يتجلى تجلياً هو غاية فى الفتون ، فتكون حركاته وسكناته من الغرائب والعجائب ، ويكون تحفة طريفة تحول البيت إلى فردوس من أجمل الفراديس ، بحيث يقال فى وصفه إنه كان ابن موت ، وهذه عبارة مألوفة عند أهل الريف ، وهى غاية فى الصدق

وبقليل من التأمل نرى أن الطفل الذى يموت بعد سنة يكون استوفى من الحياة سنوات وسنوات ، لأنه فى عمره القصير يستوفى من حظوظ دنياه فى المرح واللعب والابتهاج ما لا يستوفيه كبار المعمرين . وهنا تكون الفتنة الدامية ، فذلك الطفل يعد أهله وعوداً لا تخطر فى البال ، فهو فى إشاراته وعباراته يؤكد بأنْ سيكون أعظم العظماء فى القديم والحديث

وفى أقصر من لمح البصر يختضره الموت ، فتبقى له بوارق تذيب لفائف القلوب

ماذا أصنع والأطفال الذين ثكلتهم كانوا كذلك ؟

قدرت أنهم عاشوا حتى شبعوا من العيش ، والعيش تعبٌ فليستريحوا آمنين

دفنت بيدى أطفالاً كانوا أعز علىّ من نفسى ، ولكنى لم أبك عليهم كما بكيت على أمى وأخى وأبى ، لأنهم لا يطالبوننى بالوفاء ، فقد اختارهم الله إلى جواره قبل أن يعرفوا الفرق بين البر والعقوق

وما حاجة الأطفال إلى البكاء ؟

ألا يكفى أن الله أنجاهم من مكاره العيش ، فى دنيا أتعبت الأنبياء ؟

الدمع على الطفل الذاهب أغزر من الدمع على الكهل الذاهب ، فما الذى فاتهم من حظوظ البكاء ؟

بهذه السياسة فرضتُ على زوجتى أن تنسى الأطفال الذين فقدناهم فى مصر الجديدة وفى سنتريس ، فاكتفت واكتفيت بالشياطين الذين عاشوا ، وهم أبناء لم تمنعهم الشيطنة من أن يكونوا غاية فى أدب النفس وصفاء الروح

إذا راعى الابن واجبه نحو أبيه ، فما يضره إن نسى الواجب فى معاملة جميع الناس ؟

أنا لم أفعل خيراً فى حياتى أفضل من الأدب فى معاملة أبى وأمى ، وقد جازانى الله فجعلنى فى عصمة من دسائس السفهاء

الحجر الأول فى بناء الوطن هو الأسرة ، وأبنائى لا يحبوننى متفضلين ، وإنما يرون رجلاً يدبر لهم منافع لن يحتاج إليها قبل أن يموت ، ولو عاش عمر نوح ... وهل أعيش إلى أن أنتفع بما أدّبر لأبنائى ؟

ليت أبنائى يتأدبون بأدبى !

أنا أرى أن حيوية الرجل فوق الحدود ، والسر كله فى طاعة الله ، الطاعة التى يعرفها أصحاب العقول ، الطاعة التى تتمثل فى العمل الموصول بصدق وإخلاص

كونوا يا أبنائى مثل البحر ، فهو قد يغضب فى كل وقت ، ولكن كل قطرة من قطراته تشتمل على حيوات عظيمات

واذكروا دائماً أنى لم أنل رضا الله بالمجان ، فقد نلت رضاه بكفاح يؤيد كرمه فى صحة بنيانى ، وأنا بحمد الله غاية فى صحة البنيان .

زكى مبارك

٢ـ حكاية الوفد الكسروى

للأستــاذ جليل

من صائغ أسطورة (الوفد القرشى) التى وردت فى العقد والأغانى ؟

ابن عبد ربه يرويها عن نعيم بن حماد عن عبد الله بن المبارك عن سفيان الثورى عن ابن عباس . وأبو الفرج ينسخ الخبر من كتاب عبد الأعلى يحدثه الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس . . .

ابن عبد ربه أقدم من أبى الفرج ؛ فقد ولد سنة ٢٤٦ وتوفى سنة ٣٢٨[1] فى ذلك الإقليم النائى . وصاحب الأغانى ولد سنة ٢٨٤ وتوفى سنة ٣٥٦ . فقد يكون صاحب العقد وقف على مصنف أسبق مما وقف عليه أبو الفرج ، وربما اطلع هـذا على مؤلف أثبت وإن تأخر وقته . فهل صاغها نعيم أو صائغ عزاها إليه أو[2] زخرفها الكلبى ، وإن كان سجعها يبدو بغدادياً لا كوفياً ، وهل لشبل الكلبى . . . أعنى ابنه هشاماً يد فيها ، وهل أودعها كتاب وفوده ؟

نقص الخزانة العربية اليوم يصدنا أن نجيب جواباً مضبوطاً . فلعل بقيات مما نجا من الزمان والتتر والصليبيين والأسبان محرق كتبنا ومغرقيهـا — يظهر فيخرجنا من ظلمات حالكات نحن فيها

ولا ضرر — وقد عرفنا ذرواً من أخبار ابن الكلبى — أن نعرف شيئاً عن أبيه الكلبى . وهذا بعض ما جاء فى (ميزان الاعتدال فى نقد الرجال) ج ٣ ص ٦١ :

« قال الثورى : اتقوا الكلبى . فقيل : إنك تروى عنه . قال : أنا أعرف صدقه من كذبه . قال يحيى بن يعلَى عن أبيه : كنت أختلف إلى الكلبى أقرأ عليه القرآن فسمعته يقول : مرضت مرضة فنسيت ما كنت أحفظ ؛ فأتيت آل . . . فتفلوا فى فىّ فحفظت ما كنت نسيت . فقلت : لا والله لا أروى عنك بعد هذا شيئاً ، فتركته . قال يزيد بن زريع : حدثنا الكلبى وكان سبئياً . قال الأعمش : اتق هـذه السبئية ، فإنى أدركت الناس وإنما يسمونهم الكذابين . قال ابن حبان : كان الكلبى سبئياً من أولئك الذين يقولون : إن علياً لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا ويملأها عدلاً كما ملئت جورا ، وإن رأوا سحابة قالوا : أمير المؤمنين فيها[1] . التبوذكى : سمعت الكلبى يقول : أنا سبئى . ابن معين : الكلبى ليس بثقة . وقال الجوزجانى : كذاب . وقال ابن حبان : مذهبه فى الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من يحتاج إلى الإغراق فى وصفه ، يروى عن أبى صالح عن ابن عباس التفسير ، وأبو صالح لم ير ابن عباس ، ولا سمع الكلبى من أبى صالح إلا الحرف بعد الحرف ، فلما احتيج إليه أخرجت له الأرض أفلاذ كبدها ، لا يحل ذكره فى الكتب ، فكيف الاحتجاج به . . . »

(١) هذا فى (وفيات الأعيان) ، وفى أعلام الأديب الكبير الأستاذ الزركلى نيقصان سنة ، وقد بالغ العلامة الأستاذ فى تحقيق كتابه وإحكامه

(٢) جئت ب (أو) إذا لم أجعله استفهاما منقطعا وجعلته كلاما واحدا . وفى (الكتاب) : هل يسمعونكم إن تدعون أو ينفعونكم أو يضرون . وقال زهير : ألا ليت شعرى ... البيت

* * *

قولى منذ (١٩) سنة « ولن يجوّز العقل أن يقعد ابن الأكاسرة لاستماع ثرثرة كل مهذار نفاج ، ويفرغ لشهود مجرفة المتعجرف وعنجهيته » — لا يدل إلا على ما يدل عليه ، وهو شرح حال اقتضاه المقام ؛ ونقدُ رهط لغوا عن الصواب فى الخطاب لا يعم فصائلهم وعشائرهم ، ـ دع عنك عمومه الجيل الذى أبدع (المبدع) منه تلك الأمة . والثرثرة والهذر والنفج فى أقوال الوفد الكسروى ظاهرة . فهل يُعقل أن يُستقبل مثل كسرى بها وهو سلطان زمانه ، وأقاليم فى الجزيرة من أعماله ، وأمثال النعمان من عماله . وقد تفطن الصباغ لشىء من ذلك فقوّل كسرى فى ختام الأسطورة ما قوّله ، وقوّله حين لغا أكثم بما لغا به[2] : « ويحك يا أكثم ، ما أحكمك وأوثق

(١) فى الرسالة ١٩٢ ص ٣٦٨ س ٥ جريدة لأكثر المهديين المنتظرين ، يراجع هذا الجزء

(٢) لغا بكذا : تكلم به

كلامك لولا وضعك كلامك في غير موضعه »

وليست خطبة أكثم من إنشاء (الواضع) ولكنها أمثال قديمة متفرقة منسوب أكثرها إلى أكثم بن صيفي هذا ، وقد ألف بينها من صاغ الخبر فما تجاوبت ولا تناسبت

وأحب أن أقول اليوم : إن العربية الحقيقة بأن نستمسك بها ونتعصب لها هي التي ذكرت في (الرسالة) ٢٢١ص١٥٦٢ السنة ٥ :

« وإذا ذكرنا العربية فإنما نعني هذه العبقرية ذات التعاجيب المحمدية ، وهذه القوة الخلقية ، وهذه المقاصد القرآنية ، وهذه الآداب الإلهية ، وتلك الحضارة والمدنية ... ليست العربية نسبة ولكنها جامعة تؤلف بين القلوب ... فالعربي هو ذلك المتمدن المتحضر المهذب المثقف المتعلم العالم العزيز الأبي الناطق بلسان القرآن ، وليس بعرب (خُرّاب بادية غرثى بطونهم [1]) ولا قراضيب [2] في (الجزيرة) ولا مُدَلْفِقُون [3] ... »

وقد دفع أدباء وعلماء من السلف إلى تفخيم العربية الجاهلية عصبية أو ولع بتعظيم قديم ، ودعت إلى التنويه بها في هذا الزمان مقاصد خبيثة غربية

إن العربانيين المنتمين إلى دور السياسة و (التضليل) يقولون متوهين : كانت العرب في الجاهلية وكانت ، وكان عندهم ما كان ، فماذا عملت الإسلامية ، وبأي شيء جاء محمد ؟

« هم العدو ، فاحذرهم ، قاتلهم الله أنَّى يُؤفكون »

* * *

خبر الوفود

إن هذا الخبر لا أصل له ، فلم يقل النعمان في وقت ما قال ، ولم يرسل من ذكرته القصة ، ولم تتحرك الألسنة قدام كسرى بشيء مما روى قط ، ولم يشر إلى هذه الواقعة مؤرخ أو أديب في مصنف عرفناه أقل إشارة . وقد زخرفه مزخرفه كما صاغ الصواغون من قبله وكما صبغ الصباغون من بعده ، وقد سيطرت عليه لغته ولغة وقته ، فلم تشبه نثر الجاهليين وإن كنا لا نعرفه إذ لم يثبت من النثر القديم إلا القرآن كما ذكرت ذلك منذ (١٩) سنة ، وإن كنا نجهل ذلك النثر [1] فإننا نتصوره ، ولا ريب في أن هناك نثراً بدوياً [2] ونثراً حضرياً وقد نزل القرآن بالنثر الحضري لأنه إنما كان لكل جيل وزمان . ولم يشبه أسلوب الخبر أسلوب الإسلاميين ، ولدينا من هذا القرن ما قد يطمأن إليه بعض الاطمئنان

إن صائغه أنشأه (مقامة) لفقها ونمقها ، ولم يحتط ، ولم يفكر في أن يحتاط ، ولم ير حاجة إلى ذلك هو في منثور ينثره هو في (البلاغة) [3] لا في تاريخ يحققه ؛ على أن التاريخ هو ابن عم الأسطورة . وفي الخبر أشياء أدل على الوضع من أشياء ، وهذه طائفة منها .

(له)

(١) المثنى . الخارب : اللص وخصه الأصمعي بسارق البعران
(٢) القرضوب : اللص
(٣) الأدلنفاف : المجيء للسرقة في ختل واستتار

(١) كلام الناس ، حديثهم من نثرهم ، وقصة ذلك الغربي في تلك الرواية مشهورة
(٢) هناك نموذجات قلدت النثر البدوي وهي غير المعروف قد تعين في مثل هذه المباحث
(٣) كانوا يسمون النثر في ذلك العصر بالبلاغة ، يدل على ذلك ما ذكره أبو بكر الصولي في كتاب الأوراق في أخبار أبي محمد القاسم ابن يوسف . قال أبو بكر : « حدثني الحسن بن يحيى قال : قالوا للقاسم ابن يوسف : أقبلت على الشعر وتركت البلاغة ، فقال امتحنوني . فقيل له فاكتب إلى محمد بن منصور ... فكتب .. الخ

٢ـ نشأة الدرامة الانجليزية

للأستاذ دريني خشبة

يحتفظ الأدب الإنجليزي من الدرامات القديسية بأربع مجموعات تُنسب إلى مدن مختلفة هي يورك ويكفيلد وكوفنتري وشستر ؛ كما يحتفظ بدرامة واحدة من كل من نيوكاسل ودبلن وإيست أنجليا ونورفولك . وتختلف هذه الدرامات طولاً وقصراً وجودة ورداءة ، ويتركب بعضها من ثمانمائة بيت من الشعر ، في حين يتركب البعض الآخر من ثمانين بيتاً فقط ؛ ويتألف بعضها من نظم ونثر ، أو نظم فقط ، أو نثر فقط ، وفي بعضها أغان جميلة كما تحوى بعضها الأغاني النئة . على أن أجمل هذه المجموعات كلها هي مجموعة يورك لتنوع موضوعاتها وجمال أسلوب الكثير من دراماتها ، والحرية الظاهرة في تناول حياة القديسين بالتصوير الجريء ، وكثرة الحركة التي هي حياة التمثيليات جماء

أما أقدم درامة قديسية كتبت باللغة الإنجليزية فهي درامة (حَرْثُ جهنم) أو (إسلافُ جهنم) من سلف الأرض أو أسلفها أي أعدها للزرع بالسلفة ، وهي آلة ذات شعب The Harrowing of Hell ولا يعرف مؤلفها على وجه التحقيق . وقد ألفت في أواخر القرن الرابع عشر في عهد إدورد الثاني ؛ وهي عبارة عن محاورات شائقة بين السيد المسيح عليه السلام وبين الشيطان عليه اللعنة تنتهي بهزيمة كبير الأبالسة ، وتهليل البطاريق وتكبيرهم فرحاً بانتصار المسيح واغتباطاً بإجاباته المفحمة

هذا ، وقد كانت عناصر شتى تشترك في تأليف الدرامة ، فمن ذلك الموضوع ، وهو أهمها بالطبع ، ثم الأسلوب ، وكان يراعى فيه السهولة واليسر ، نظماً أو نثراً ؛ وذلك بعد أن فشلت الدرامات التي ألفها چون للي بأسلوبه الجزل وعبارته الفخمة . وچون للي هو مبتدع أسلوب اليوفـيوزم الرائع الأنيق المُـرَوَّأ في الأدب الإنجليزي ... ثم الموسيقا والألحان والأغاني ... بيد أن واحداً من هذه العناصر كلها يكاد يكون أهمها ، لأنه يتفرد من بينها باهتمام الجماهير ، إذ هو الذي يجذبهم لمشاهدة التمثيل ، ثم هو بعد ذلك أقوى الأسباب في نجاح الدرامة أو سقوطها ... ذلك العنصر هو عنصر الهزل والتضحيك Farcical & Comic الذي لم تكن تخلو منه درامة قديسية قط . والعجيب الذي يلفت أنظارنا نحن الشرقيين خاصة جرأة رجال الدين والمؤلفين الدراميين على السواء في إشاعة هذا العنصر في تلك التمثيليات الدينية التي تتناول الأنبياء والقديسين ورجال الدين عامة ... حتى الملائكة ... فهم قد هتكوا تلك الهالة المقدسة التي ينبغي أن تكلل رؤوس هذه الشخصيات المبجلة ، وهم قد هتكوها إلى حد التحقير وتهوين الشأن والزراية بما كان من شأن الدين أن يتصونوا في تناوله ... إسمع إلى هذا الحوار الذي نقتطفه لك من درامة « طوفان نوح » لترى إلى أي حد اجترأ المؤلف على شخصية هذا الرسول الكريم ، أحد أولي العزم العظماء ، من هداة البشرية الأولى ... أنظر إلى هذا الحوار لتعجب كيف أجاز رجال الدين تمثيل هذا العبث بين يدي الشعب :

— نوح : أعددت الفلك ، وقد آن لنا أن نبحر ، فهلمي يا زوجتي الصالحة !

— زوجة نوح : ماذا ؟ أركب في هذه السفينة وأترك تلك الأرض الراسخة ؟ أوه ! كلا ، كلا . إنها لم تصنع من أجلي ؛ ومع ذلك ، فلدي ما يشغلني يا صاح ، فإني ذاهبة لقضاء حاجات كثيرة تلزمنا من السوق اليوم

— نوح : والطوفان ؟! ألا تخافين أن تغرقي ؟

— الزوجة : آه ! كلا . لا عليك . إن هذا لا يخيفني !

— نوح : لقد هطلت شآبيب المطر ، وتفتحت أفواه السماء ، ولست أرى أنها ستقلع ، فتعالي واركبي في الفلك معي !

— الزوجة : الفلك ؟ ماذا تعني ؟ ما هذا السر الذي أخفيته عني ؟ لماذا لم تستشر زوجتك في أمره ؟

— نوح : سر ؟ سر ؟ ليس هناك سر قط ! إنني لبثت أصنع هذه الفلك طيلة قرن بأكمله . ولقد شهدتني أصنعها طوال هذه المائة من السنين ألف ألف مرة بعينيك !

— الزوجة : حسن ، بيد أنني لا أحفل كثيراً بالحياة في هذا المركب ، إني سعيدة ههنا ، ولست أستروح الحياة فوق الماء قط ... ثم إني ... لا أريد أن أصحبك !

— نوح : ولكن ... إنك تغرقين ، ما من ذلك بد ، إن لم تفعلي !

— الزوجة : ولـكنك أفسحت فى مركبك المجال لخصومى والمتقوّلين علىّ من المؤمنين بك . . . وهم حفنة ! على أننى أعجب كيف تغرينى باصطحابك وترك كل هذا المجتمع ، لأعاشر فى فلكك الوحوش والطيور والزواحف ؟! أفّ لك ! إن إغراءك إياى ليغثى نفسى ويكرب صدرى !

« وهنا تلكمه بقوة فوق أذنه »

— نوح : هدئى روعك أيتها الزوجة الصالحة . هدئى روعك ! ولا يزال بها نوح حتى تستسلم وتركب آخر الأمر ، لكنها تثير الشغب فى السفينة من أول الرحلة إلى آخرها ، فى مشاهد تضحيكية متصلة ، لا نرى أنها كانت تتناسب مع الوقار اللازم للرسل

فانظر كيف تلكم نوحاً زوجته فى تلك الدرامة الجريئة ، كما ساط اليهودى قديس الكنيسة فى الدرامة التى لخصناها لك سابقاً ... على أننا سوف نتناول هذا النوع من الدرامات الكوميك (التضحيكية) بالتفصيل فى موضعه من الطور الثالث

الطور الثالث

الدرامات الأخلاقية والفواصل Moralities & Interludes

ذكرنا فى الموجز الذى وضمناه فى مستهل هـذا البحث ، فى العدد السابق ، أن الدرامات الأخلاقية نسخت بالاشتراك مع الفواصل ، الدرامات القديسية وحلت محلها . وفى إيراد الكلام على هذا النحو شىء من المبالغة . وربما كان عذرنا فى ذلك أن خلافا شديداً قام بين المؤرخين على أصل هذه الدرامات الأخلاقية ، فمنهم ، وهم الأكثرية ، من يقولون إنها نشأت من الدرامات القديسية . ومنهم من يعارض هذا الرأى ، ويبنى أن تلك فرع من هذه ، وعلى رأس هؤلاء الأستاذ مورلى Morley من أساطين مؤرخى الأدب فى العصر الحديث . على أنه لا مشاحة فى أن الإنجيليات والقديسيات قد نشأت فى الأمم اللاتينية عامة وانتقلت مع رسل الكنيسة من فرنسا إلى انجلترا . أما الدرامات الأخلاقية Moralities فأكثر المؤرخين على أنهـا نشأت على أصول القديسيات ، وأنها ثمرة من دوحتها الباسقة . وندع بعد هذا الناحية العلمية من مناقشة الفريقين المتناظرين ، لأنها ليست من شأننا فى هذا البحث . والدرامة الأخلاقية هى تلك الدرامة

التى تعنى بالحقائق المجردة abstracts و truths من فضائل ورذائل ، فهى تجملها أبطالاً وتتخذ منها شخصياتها وموضوعاتها ، ويرجع هذا التجديد إلى أواخر القرن الرابع عشر حينما انتشر الشعر المجازى المشتمل على الكنايات والاستعارات المختلفة . وقد يكون لضيق الشعب بالدرامات القديسية أثر فى هذا التحول ، إذ أنه مل هذا النوع الواحد من التمثيليات الدينية التى أوشك أن يحفظها عن ظهر قلب لكثرة تكرارها ، فأراد المؤلفون أن يتساموا بالدرامة فاقتحموا ميدان الأخلاق ، لأنهم إنما كانوا ينشدون نشر الفضيلة — بعد تلقين دروس الدين — بما يقدمون للنظارة من هذه الدرامات . ولا غرو أن فرنسا كانت قد سبقت انجلترا فى ابتكار هذه الدرامة الأخلاقية ، ولا يبعد أن تكون قد اقتبستها عنها كما اقتبست الإنجيليات من قبل : أما أن الدرامات الأخلاقية قد نسخت ما قبلها ، فقد حدث ذلك بالتدريج فعلاً . فهم يذكرون أن آخر درامة قديسية قد مثلت فى أواخر القرن السادس عشر . أو بالضبط سنة ١٥٩٨ ثم ظلت الدرامات الأخلاقية تمثل بعد ذلك إلى أن ازدهر المسرح الانجليزى بدرامات مارلو وشيكسبير وبن جونسون . ومن هذا يفهم أن القديسات واكبت الأخلاقيات زمناً طويلاً حتى تغلبت الأخيرة وحلت محلها . وقد كانت الرذيلة أقوى شخصيات الدرامة الأخلاقية . وكانت تحل دائماً محلاً هزلياً كما كانت الفضيلة توضع فى مواضع الجد . فكان يمثل الرذيلة معتوه أو ضحكة أو أبله يجيد صوغ النكات والحركات التضحيكية ، وكان يبدو دائماً وفى يده خنجر من الخشب ، كما كانت ملابسه تثير الضحك الشديد . ولم تكن شيمة من الشيم إلا ولها موضع من درامة من هذه الأخلاقيات التى تكون فيها الشخصيات قسمة بين الفضائل والرذائل . فقابل الطمع توجد القناعة ، ومقابل الزنا يوجد العفاف ، ومقابل الكذب يوجد الصدق ، وضد الظلم العدالة وهكذا دواليك . وكان مقصوداً بتمثيل هذه الرذائل أن يحدث تباين Contrast مع الفضائل حتى لا يمل النظارة من كثرة الحض على التمسك بأهداب الفضيلة . ولهذا السبب كان وكد المؤلف أن يجعل شخصية رذيلة ما من الرذائل — كالجبن أو الشح مثلاً — مثيرة للضحك الذى يهز القلب ويفجر

الشاعر ، فإذا نال السامعون هذا النصيب من الترويح انتقل بهم المؤلف إلى شخصيات الفضائل الرزينة العاقلة — كالشجاعة والجود مثلاً — فجعلهما يردان على الجبن والشح فى وقار وهَـوْن ، ثم ينتقل إلى الرذائل ليعطى النظّارة نصيباً من الضحك وهكذا حتى تنتهى الدرامة

وكانت الفترة التضحيكية المخصصة للرذائل تسمى فاصلاً — أو استراحة — Inter lude . وظل هذا هو النظام المعمول به فى مزج الأخلاقيات بالفواصل حتى جاءجون هيْـوود Heywood (١٥٠٦ — ١٥٦٥) فألف فى الفواصل خاصة ، وبذلك أخذت تستقل عن الأخلاقيات وتـكون نواة للملهاة Comedy . وقبل أن نتكلم عن الفواصل نلم إلمامة ختامية بالأخلاقيات لنعطى القارئ نماذج سريعة من أنواعها ليكوّن لنفسه صورة من النضال المتصل والجهاد الرائع الذى مهد للمسرح الإنجليزى العتيد فى عصر شيكسبير العظيم . فمن هذه الدرامات الأخلاقية ما كان دينياً بحتاً مثل درامة قلعة المثابرة The Castle of Perseverance من عهد هنرى السادس ، وموضوعها الحرب بين النوع الإنسانى Human Genus وزملائه الفضائل السبع الرئيسية ، ضد الكبائر السبع بقيادة زعمائها الثلاثة : مندس وبليال وكارو الذين يحاصرون النوع الإنسانى فى قلعة المثابرة ، ثم نجاة النوع الإنسانى آخر الأمر . ومن هذا القبيل درامة « كل إنسان » وقد كتبت قبل سنة ١٥٣١ وفيها يُستدعى (كل إنسان) هذا أمام محكمة إلـهية ليقدم حساباً على ما قدمت يداه فى الحياة الدنيا ... وهنالك تخذله رفاقه « الزمالة والخفة والقوة والسرور والجمال » فى حين لا يجد له نصيراً إلا حسناته التى تقدمه « إلى الاعتراف » الذى يبرئ ساحته

ومن تلك الدرامات أيضاً ما تلحظ فيه أثر حركة الإصلاح الدينى والروح البروتستنتى الجديد ، مثل درامة العرف الجديد New Custome أو درامة معركة الضمير . ومنها ما كان يتجه اتجاهاً علمياً يتمشى مع نور النهضة مثل درامة « العناصر الأربعة ، وهى نضال بين العرفان وفضائله ، والجهالة ومضارها ؛ ونحوها درامة (الذكاء والعلم) . ومنها ما كان سياسياً ، مثل درامة (الفارس ألبيون) وهى تصور ذلك النضال الهائل بين الأشراف والعامة ، والصدام الذى انتهى بالإصلاح الدستورى الكبير فى بريطانيا . ونحوها درامة لوردات لندن الثلاثة وسيداتها الثلاث ، وهى ملهاة لـكاتب اسمه روبرت ولسن . وكان يحترف التمثيل . والسيدات هن المنفعة الخسيسة والحب والضمير . أما اللوردات فهم السياسة والأبهة Pomp والسرور (وأولئك هم سادة لندن) — ثم الـكبرياء والطمع والظلم (وأولئك هم سادة أسبانيا) — ثم الرغبة والمسرة والولاء (وهؤلاء همسادة لِنْـكُلْـن) وقد كتبت هذه الدرامة بعد تحطيم الأرمادة الأسبانية . وفيها تحقير شديد للأسبان وإشادة بالمجد الإنجليزى

هذا ، وقد أُلّـفت بعد هذه المرحلة درامات لا هى أخلاقية كلها ولا هى فواصل كلها ، بل كانت (بين بين) إن جاز هذا التعبير

أما الـكلام عن الفواصل فيحسن أن يستقل بفصل خاص لأهميته ، ولأنه كان البذرة الأولى للملهاة الإنجليزية ، وهو ما سنتناوله فى الفصل المقبل .

دريني خشبة

المشكلات

٥ ـ اللغة العربية

للأستاذ محمد عرفه

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

ومن غريب الأمر أن الطريق الذى أشرنا بسلوكه ، والذى أبان العلم أنه لا طريق إلى تعلم اللغات سواه ، هو الطريق الذى هدت إليه الفطرة وسلكته فى تعليم الولدان لغات آبائهم ، وتعليم الأجيال لغة أممهم ، فالفطرة اصطنعت فى تعليم اللغات طريق الحفظ والتكرار ، والمرانة والاعتياد

ينشأ الطفل فيسمع أبويه وأهليه يتكلمون بمواضعات خاصة فيحفظها وتتكرر على سمعه ، ويعتادها لسانه فتصير ملكة ، وبذلك يحذق لغة قومه

كأن الفطرة قد علمت أن اللغة فى الإنسان ملكة ، والملكة لا تكتسب إلا بالتكرار فاستعملت ذلك فى تعليم أمم الأرض لغاتها ، ولم تخطىء مرة واحدة فتلجأ إلى طريق القواعد والقوانين لأنها لا تكسب الملكات

أما نحن فجهلنا ذلك ، وأخذنا نعلم اللغة بالقواعد والقوانين ، ولم نلجأ إلى تعليمها بالحفظ والتكرار ، فكانت الفطرة أقرب إلى الصواب ، وأبعد عن الخطأ ، وأثقب فكراً ، وأسد نظراً ، وكنا أقرب إلى الخطأ ، وأبعد عن الصواب ، وأعظم خرقاً .
وكانت الفطرة تعلم اللغة أثناء المعاملات اليومية من لعب وقضاء حاج ، وبيع وشراء ؛ أما نحن فقد أعطناها بالقوانين التى يفنى العمر ولا تفنى ؛ فكانت مقتصدة أعظم الاقتصاد ، وكنا مسرفين أشد الإسراف . كانت الفطرة تعلمها بالتدرج من الأسهل إلى الأصعب ، ومن البسيط إلى المركب ، مراعية حال المتعلم ، فتعطيه ما يناسبه ولا يجافى عقله . أما نحن فلم نراع ذلك بل تعمدنا مضادته ، فعلمنا القواعد التى هى فلسفة اللغة ، تعلم بعد تعلمها ، ومرتبتها فى الوجود متأخرة عنها ، فلم تظهر إلا بعد ظهور اللغة بأزمان . أقول علمنا القواعد قبل تعلم اللغة وجعلناها وسيلة إلى تعلمها ، ولم نراع حال المتعلم فجئنا بأطفال الأقسام الابتدائية والتعليم الأولى ، وأخذنا نعلمهم القواعد ، ونعطيهم من العلم ما ينبو عن أذهانهم ؛ فكانت جارية على مقتضى الحكمة ، وكنا جارين على غير مقتضاها ، أو على مقتضى شىء آخر ، وكانت ميسرة كل التيسير ، وكنا معسرين كل التعسير

وكانت تعلمها أثناء سرد الحوادث اليومية ، وأخبار الجيران ، والأهل والخلان ، والمحادثات السارة والأخبار الممتعة ، وتاريخ الناس وملحهم ، وفى أثناء الأغانى والمدائح والمراثى . وكنا نعلمها فى قواعد جافة خالية من كل ذلك ، فكانت تعلمها مع المتعة والمسرة . وكنا نعلمها مع الضيق والحرج . ولما راعت ذلك كله كانت ناجحة فى تعليمها كل النجاح ، ولما أهملنا ذلك كله كنا مخفقين كل الإخفاق

أرانى فيما سبق قد أطلت المسافة فى الاستدلال ، وذكرت فى البين أن اللغة ملكة ، وأن الملكة لا تكتسب إلا بالتكرار ، وكنت أستطيع أن أختصر الطريق ، وأقول لننظر إلى الفطرة كيف تعلم اللغة ، ولننحُ كما فيما تفعل ، ولنعمل كما تعمل

وإذا نظرنا هذا النظر وجدناها تعلم أبناءنا اللغة العامية بالتكرار والمحادثة ، وكذلك كانت تعلم أطفال العرب لغة آبائهم . كانوا يسمعون فى طفولتهم من آبائهم ومخالطيهم مفردات اللغة وأساليبها ، والبليغ المأثور من بيانها ، ويتكرر ذلك على أسماعهم ، فيحاكونه ويقلدونه ويتكلمون على نهجه ، فيكتسبون الملكة فى اللغة بالسماع والتكرار والحفظ ؛ فإذا الطفل الناشىء ولسانه البادىء جار على هذه اللغة لا يخطىء ولا يشذ ، ولو حاول جهده أن يحيد عن الصواب لاستعصى ذلك على لسانه ، ولوجد فى ذلك مشقة وعنتا

إن محاكاة الفطرة فى أعمالها داعية إلى النجاح والتوفيق ، وكلما كان المرء أقرب إليها كان أقرب إلى الصواب ، وأبعد عن الخطأ ، ويكون خطؤه بقدر بعده عنها ، ومجافاته لقوانينها

ومن سوء حظ التعليم أن ما فى المدارس المصرية مما له تعلق بالطريقة الطبيعية قد أهمل ولم يعن به ، وهو فيها صورة لا معنى ، وشكل لا حقيقة ؛ ففى المدارس المصرية حفظ ومطالعة ، ولكن التلاميذ يهملون ذلك النَّمد القليل الذى فرضته عليهم المدارس

المصرية من المحفوظات ، ولا يحفظون إلا النزر القليل ليقولوه أمام لجنة الامتحان الشفوى . وفيها مطالعة ، ولكن عبر العام كله وهم لم يطالعوا إلا صفحات معدودة ، وفى الكتب المقررة شواهد على النحو والصرف والبلاغة ، ولكن التلاميذ لا يحفظون شاهداً ، ولا يستظهرون مثلاً

وضعت يدى على خمسة تلاميذ اتفاقا دون اختيار ، وكانوا من تلاميذ الثقافة ، وكان علم البيان مقرراً عليهم وفيه كثير من الأمثلة والشواهد ، وسألتهم واحداً واحداً عما حفظوه من شواهد البيان ، فلم يكن منهم من يحفظ بيتاً واحداً ، ومن المحزن أن المتحنين لا يقيمون وزنا لذلك ، وأن المدرسين لا يقيمون له وزناً أيضاً ، فلا هؤلاء يحتمون عليهم حفظ الشواهد ، ولا أولئك يرون المقصر فى حفظها مقصراً فى الامتحان

وهذا إهمال عظيم فى الحفظ والتكرار ، وهو وإن كان محزنا فان لهم العذر كل العذر فيه ، لأنه ثبت فى أذهان الجميع معلمين ومتعلمين أن المعول عليه إنما هو القاعدة ، فإذا فهمت وحفظت فما عداها من حفظ الشاهد والمثل فضل ، ولا يعلمون أن هذا الفضل هو الذى إذا عنى بحفظه وتكراره رسم صورة ذهنية ، يكتب الناشىء على مثالها ، وينسج على منوالها

وقد علمتنى التجربة أن ما يؤخذ من المحفوظات فى المدارس لا يغنى التلاميذ شيئاً ، فمن الواجب أن يكلف التلاميذ أن يعكفوا على بعض دواوين الأدب ، فيقرؤوها ، أو يختاروا منها ، ويجمعوا ما يختارون فى كراسة ويحفظوه ويفهموا معناه ، وتكون هذه الكراسة بيد التلميذ عند الامتحان شاهدة على جده وعمله ، فيقدمها للمتحن فيرى أهى كافية أم غير كافية ، ثم يمتحنه فيها من أولها ومن وسطها ومن آخرها ليعلم هل حفظ ما اختار

وقد علمتنى التجربة أيضاً أن ما يؤخذ من المطالعة فى العام الدراسى أمام المدرس لا يغنى عن التلاميذ شيئاً ، فمن الواجب أن يكلفوا بكتب يطالعونها أثناء العام الدراسى ويكتبون آراءهم فيها ويلخصون محتوياتها ، وكذلك فى العطلة ، ويكون لهذا وذاك دخل فى تقدير الدرجات

كل ما فى الوجود يشهد لى أن اللغة إنما تكتسب بالحفظ والتكرار وأن القواعد لا تغنى فى اكتساب ملكة اللغة فتيلا

لعلك جلست إلى بعض المثلين واستمعت إلى حديثه فرأيته يتكلم بالعربية لا يكاد يخطىء : وينحدر كالسيل ، ويهدر كالرعد

ولعلك جلست إلى بطل من أبطال اللغة العربية يعرف قواعد النحو والصرف والبلاغة لا تكاد تخفى عليه منها خافية ، فرأيته يتكلم بالعامية لا يكاد يقيم جملة ، ولا يستطيع أن يلين لسانه بالعربية ، فعجبت كيف يملك الأول هذا القدر من العربية مع جهله ، وكيف يقصر عنه الثانى مع علمه

أتدرى لمَ هذا ؟ إن الأول زاول اللغة العربية عملاً ، وحفظ أدواره فى الروايات ، وألقاها ومرن على ذلك فاكتسب ملكتها ، فإن تكلم بعدُ صدر عن الملكة فأجاد ؛ أما الثانى فعلم قواعد النحو والصرف والبلاغة ، ولم يزاول اللغة حفظاً وعملاً ، فلم يكتسب ملكتها فكان هذا القصور المعيب

أجلست مع بعض العامة الذين يكثرون من قراءة الجرائد والروايات فرأيته يقيم لسانه بالعربية أكثر من ذلك النحوى الذى جعل همه فى القواعد والقوانين

ولعلك رأيت بعض من لا يعرفون علم العروض والقافية ، ولا يعرفون البحور وأوزانها ، ولا الخبن والطى ، إذا سمع بيتاً مكسوراً أدرك عيبه بمجرد سماعه ، وإذا سمع بيتاً صحيحاً أدرك صحته كذلك ؛ ولعلك رأيت بعض من يعرفون هذه العلوم لا يهتدون لعيب البيت أو صحته إلا إذا أخذوا يتعرفون من أى بحر هو ويجرونه على أوزانه . إن ذلك لأن الأول تربى عنده مقياس ذهنى لأوزان الشعر من كثرة قراءته وحفظه ، فإذا سمع شعراً اختل من هذه المقاييس أدرك ذلك بذوقه ، والآخر لم تربَ عنده هذه المقاييس بل شغل بقواعد الشعر عن حفظه وقراءته والقواعد لا تربى الملكة

إن كثيراً من علماء العروض لو حاولوا نظم بيت من الشعر أعجزهم ؛ وإن كثيراً ممن لا يعرفون هذا العلم يأتى لهم الشعر طيعاً منقاداً — والسر ما قلناه وكررناه من أمر الملكة والتكرار

لافونتين
LA FONTAINE
(١٦٢١ — ١٦٩٥)

بنو آدم كالنبت ونبت الأرض ألوان
فنهم شجر الصند ل والكافور والبان

للأستاذ محمد حسني عبدالله

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

الخرافة وازدواج الشخصية عند لافونتين

ولقد عرف العُشراء والأقربون في هذا الشاعر، من تصرفاته وأحواله، إنساناً قليل الانتباه لمجرى الحوادث، قليل الاحتفال بوقائع الحياة، منصرفاً عن حركات الناس وسكناتهم، متشاغلاً عن حديثهم ولغوهم، شارد الفكر فيما لم يكن في مستطاعه الدلالة عليه إذا بدهه سائل بالسؤال عما يشغله ويذهب بلبه. فكان يبدو ساذجاً أشبه بأبله، من العصي عليه أن يصف لأحد مشافهة ما رأت عينه أو يعيد عليه ما وعت أذنه. فهو لم يكن يُعنى — فيما ظن خلصاؤه وبطانته — بشؤون الناس في شيء، عَظُمَ أم حقُر — حتى ولا بشأنه؛ فكان همه في الحياة — كزعمهم — العيش فحسب؛ ومثله الأعلى — كحدسهم — الاستكانة للواقع والانصراف عن الجهاد والكفاح استمراء للكسل مضافاً إليه قليلاً من الحب ليمد العيش بالنضارة والحلاوة كقليل الملح إذ يصلح الطعام ويجعل له طعما سائغاً

ولكن كل من قرأ دواوين خرافاته وبحث فيها تصورها الجامع لألطف المعاني والأخيلة، الحافل بأدق الأحداث وأشدها، تطلباً لليقظة، عرف فيه كما قد عرف مؤرخو الآداب والناس عامة، يقظاً مرهف الحس، فطناً لكل ما ظُن أنه غافل عنه

فللرجل إذن خلقان على طرفي نقيض: أحدهما واضح المعالم ظاهر للعيان ساخر من الحياة، غير عابئ بواجباتها حتى واجبات الأبوّة والزوجية؛ والآخر خفي مستبطن، ولكنه يقظ منتبه لكل ما يدور في ملعب الحياة. وثمة انسجام وتآلف بين هذين الخلقين ساق إلى تفادي أضرار هذا التباين بالتنفيس عن الجانب المستتر من خلقه في أدب الخرافة التي كان إخراجها للناس برهاناً على ازدواج الشخصية عنده وجمعه لعجائب الأضداد

خرافة لافونتين والناس

وكما أن إلياذة هوميروس وأوديسته هما سجل اليونان الحافل، وديوان أدبهم، المحدث في صدق عن معتقدهم، المصور في دقة لنظمهم ومراسمهم خلال حقبة طويلة من تاريخهم القديم، فكذلك خرافات لافونتين — هوميروس الفرنسي — مرآة صادقة للحياة الاجتماعية في عصر من أحفل عصور التاريخ السياسي والأدبي عند الفرنسيين، ومعبر صريح عن الروح الغاليّة الساخرة العابثة الفطنة في القرن السابع عشر، إذ أراد فيها لافونتين بتصويره حاشية الأسد وجماعته من الحيوان، مجتمع معاصره لويس الرابع عشر نفسه، بلاطه وشعبه

وما الصفات التي وزعها على الحيوان — كل بما يوائمه من صفة — كالكرم للأسد القوى، والحيلة للثعلب الماكر المستضعف، والغباء للحمار الأخرق، والطيش للأرنب المستهترة، والرياء للهر المتلون، والغرور للغراب المستغر، إلا صفات إنسانية محضة خبرها في أهل عصره وصادفها في مجتمعه فوصفه بطريقته الخاصة — الجادة إذ عبثت — متلطفاً بالمداراة والتأدب في نقد الناس إذا قدح، متحامياً الملق والتقرب من أي كان إذا مدح. فخلق بذلك عالماً في ظاهره غريب عن الإنسان، وهو في مستسره وكيد الصلة به. فهيأت من ذلك للصغار فرصة الالتذاذ والتفكه

سلوا كل كاتب يحوك الوشي، وينفث السحر، وكل شاعر يقول الشعر، وينظم الدر، في مصر وفي بلاد الشرق، بماذا نلتم هذه المنزلة وصلتم إلى هذه الدرجة من البيان يجيبوك بأنهم لم ينالوا هذه المنزلة إلا بالقراءة الكثيرة، والحفظ الكثير ومزاولة الكتابة والحديث

إن قوانين الوجود صارمة نافذة أبدية فمن سايرها وعمل على مقتضاها انتفع بها وسار على ضوئها إلى التوفيق، ومن جهلها لحقه الضرر بهذا الجهل، ومن أراد التخلص منها، وحاول أن يخضعها لإرادته عنى نفسه فيما لا يطاوعه ولا يجد إليه سبيلاً.

محمد عرفه

يشؤون هذا العالم الحيواني العجيب والإفادة منه ، وللكبار فرصة إعمال الذهن وكدح الخاطر في ربط الصلة بينهم وبين عالمهم واستخلاص الحقائق الواقعية التي أريد بها عصر لويس الرابع عشر خاصة ولكنها تصلح تصوراً أخلاقياً دقيقاً لكل عصر . وبهذا عدت الخرافات في مجموعها ملحمة فرنسا الكبرى فكانت تراثاً أدبياً إذا أضيف إلى الألياذة والأوديسه والشهنامة وألف ليلة وليلة ، أعزّ جانب الأدب العالمي .

هوميروس الفرنسي والأخلاق

ولكن يصعب على المنقب في هذه الخرافات أن يستخلص منها مذهباً أخلاقياً أو مبدأ مثالياً . فهوميروس الفرنسي قد قنع فيها بتصوير الحياة كما هي فأجلها في قصائد منظومة لا تحسّن حسناً ولا تقبح مرذولاً . وإنما هدفها رسم الأحوال المختلفة وتصوير العواطف البشرية ، شرها وخيرها ، إذ الأمر يتعلق بوصف الحياة لا بنقدها . فالقوة والضعف والغنى والفقر والشر والخير هذه كلها ألوان ليس للحياة منها بد . بل لا محيد للضعيف عن الخضوع للقوى ، ولا مهرب للفقير من استعباد الغنى ، ولا حيلة للخير مع الشر

فلافونتين إذن لا يختط قواعد أخلاقية تتبع ، ولا يبين أغراضاً مثالية تُراعى ، إذ غرضه إزاحة الستار عن حقيقة الحياة الدنيا بغير أن يتطلع إلى خير منها . فإذا عرض للضعيف المغلوب فغالباً يجرده من معونة الغير ومن القدرة على الأخذ لنفسه . وإذا تكلم عن القوى المظفر حشد في ركابه الدنيا برجلها وخيلها ، وهيأ له النصر المحتوم من طبيعة الأمور . وهو يؤيد ما قيل من أن « جوبيتير » مد على البسيطة خوانين : خواناً للمجدودين أصحاب الجاه والنفوذ والقوة قد صفت عليه ألوان شهية من الطعام والشراب ، وخواناً للمخذولين الخاضعين ، لا يُلقى إليه إلا بالفضالة والفتات . بل المسألة - فيما يرى - أدهى وأمر ؛ فالصغار أنفسهم هم مأكول الكبار القادرين . وأيّاً ما كان الأمر فالامتثال والإذعان واجب الضعيف للقوى والمسود نحو السيد . وعلى الكلب ألا يجهل من يكون السبع الملك ، وأى فضائل تلك التي خص بها دون المخلوقات ، ومتى ينبغي توطين النفس على الرضاء بظلمه وحيفه

على أن الحياة كما هي لا بأس بها ، والألم فيها على أى حال خير من الموت . فشعار لافونتين - مع هذا - الخضوع المطلق للواقع . وهذا شعار لا يرضى الأراديين وأصحاب الخطة في الحياة

وقد عاب عليه جان جاك روسو السخرية من الضعيف المغلوب . فبالإضحاك على حسابه يدعو إلى الإعجاب بالغالب المختال ، ويحث على المظلمة والجور . وذكر أن حكمه وأمثاله ليست من النبل والبطولة في شيء . فكثيرها ينصح بقبول الحياة حتى في أحط الأوضاع ؛ ثم ينصح بأخذها بالملق والإذعان والدهاء . وما هذه إلا صفات الخاضع الذليل الذى لا يُرجى نفعه

على أن الخرافات في الحق وإن سخرت كثيراً من الضعاف لا تخلو من الإشارة إلى الأخلاق . وكيف لا والسخرية نفسها سياط تحدو إلى التفطن والانتباه حذر الوقوع فيما يستوعبها من الغفلة والانخذال . وهل أدل على أن لافونتين قد قصد إلى الأخلاق والنصيحة من قوله هذا « ما أردت إلا الإفادة والإرضاء بهذه الصور الوهمية التي أقدمها للعالمين ، فالحكاية لمجرد التسلية شيء يبدو لى تافهاً صغيراً »

كلمة ختامية

ولئن كان أروج الأمور - فيما يرى لافونتين - التسليم للأمر الواقع فان ذلك لا يعني عنده الغفلة عن المسرة واغتنام فرص الحياة . فهو - وهو أبيقورى المذهب - جد حريص على أن يهيب بالناس إلى الاستمتاع بمسرات العيش ما أسعفت الحيلة ومكنت الفرصة . فما للانسان سوى عمر واحد ، فإن هو بذله في هم وأحزان ، إن كان وضع في الدنيا موضع كد وحرمان ، فوالله قد عُرّى من دهره وحرم نعيم الرضاء بأية حال . فالمرء لا يعدم مع الفاقة والمسرة والإذعان للسيد المقتدر ، غبطة القناعة وسرور السلام . وهل استطعمت السباع التي خلفت وراءها ما فاض من مطعمها مذاقاً غير الذى ذاقته الثعالب في هذا المخلّف ؟ على أن الدنيا في واقع الأمر دار ضيافة ، وليس من عرفان الصنيع في شيء أن نغادرها دون الشكر للمضيف أيّاً ما كان القرى الذى يتيسر لنا من حكم الأقدار

أعداء النســــاء

للسيدة وداد سكاكيني

أمر من الرجل قد وقع ، وقضاء قد حم على رأس المرأة . وكأن الدهر أبى منذ الأزل إلا أن يقطع أسباب المودة والصفاء بين الرجال والنساء ، فسخَّر من غلاظ القلب والجسد من كاد لهن وتربص بهن ، وزعم متلطفاً أنهن شر لا مفر منه ولا غناء عنه ، فأساء الرجل إلى جنسه ، وإلى من خلقت من نفسه ؛ فكان كمن ضل وأضل . إذ كيف جاز فى شرعة الحق والرجولة أن يخلق هـذا الإنسان الجبار عداوة بين الجنسين ، أو فى دنيا مخلوقين بديعين ؟ ومذ بدرت من الطبائع بوادر الخصومة والخلاف هب نفر من الرجال ، وقد حسبوا أنهم يحسنون صنعاً ، فتنادوا إلى ملاحاة النساء والغض من حسناتهن ، ليقال إن العالم يشقى بشرهن ويغيا بأمرهن . وأخذ المتنادون والأشياع يهتفون فى كل جريمة وقعت أو خصومة قامت : فتش عن المرأة . ثم غدا الناقمون مباهين بعداوة النساء ، فروعت بنات حواء وفزعن إلى أخواتهن متسائلات :

— من الشاهر سيفه الكاشر عن أنيابه ، الناشر لمخالبه ، يريد بنا الأذى وينوى لنا الردى ... ؟

فقلن هـذا « أرثور » زائغ الفكر والشعور ، رفع صوته فى الغرب ، فثارت به المرأة تتمنى جلده وتحطيمه . وذلك « التنوخى » الضرير نفث نقمته فى أرجاء الشرق ، فودت له النساء كل شقاء وفناء . وخلف من بعـد هذين الناقمين خلف ورثوا عنهما المكايد والضغائن وصار إليهم بحـورة الماكرين ...

وبعد فما لامرأة اليوم حيلة بالأعداء الغابرين ، فقد ماتوا وخلوا للمشايعين تراث العداوة لها ؟ وكانت تحسب أنها استراحت من الأعداء ، فإذا هم اليوم خصوم ألداء وحقدة أشداء ، يتداولون بينهم ذلك التراث البغيض . من هؤلاء الخصوم فى ديار العرب توفيق بن سليمان الذى جدَّ فى عداوته للمرأة فطمن عليها ، ورماها بكل نقيصة فى كتبه ومقالاته . واليوم ظهر فى جنبه بوادى النيل عدو جديد . على أن أكثر هؤلاء الأعداء من الكاتبين والفلاسفة والكبراء ، ما شاع ذكرهم ولا ذاع صيتهم إلا حين هجموا على النساء بالمثالب والتسفيه ، فإذا بمطاعنهم تدور وتحور ، ويتردد صداها فى كل مكان ، وينبسط مداها مع الزمان ، ويقبل على بضاعتهم الشامتون بالمرأة والناضبون عليها ،

تلك وأشباهها أراء لم تـكن إلا صدى لحياة لافونتين نفسهـا . فهو قد عاش قرير العين ، رخى النفس ، لا منفذ إلى قلبه للهم . وكانت له الضياع والعقار فى أراضى « شاتوتيرى Chateau Thierrey » حيث ولد ودرج وشب وعاش حتى الخامسة والثلاثين من عمره — فلم يعن بالإبقاء عليها تحرزاً من غير الدهر وصروف الزمن . فلما صار إلى الفقر نتيجة التبذير والإسراف ، آواه بباريس « فوكيه » وزير مالية لويس الرابع عشر ، فدوقة أورليان ، فمدام دولاسابلير ، فهيرفار من بعد ، لم يمنعه ذلك من التسليم والرضا ، ولم يتأسف على ما لم يعن التوفيق ببقائه ؛ بل أطلق لهواه العنان وأخذ بأوفر سهم من لذة العيش قبل أن تولى أيامه وتنصرم مدته . إلا أنه عند دنو الأجل استشعر الندم على ما فرط منه . يتضح ذلك من هذه النبذه التى نختتم بها من كتاب له إلى صديقه الشاعر « موكروا Maucroix »

«من الإسراف يا أخى أن تخال صديقك لافونتين مريضاً بالوهم ؛ فالذى لا ريب فيه أنه لم يبق من أجله إلا أيام معدودات ، ولشدَّ ما نالت من قواه العلة طوال عامين بتمامها ، لم يشد أزره على شدتهما سوى نعمة اختلافه إلى المجمع اللغوى بين الوقت والوقت . ولـكن بالأمس وهو فى طريق العودة منه ، بغته ضعف ظن أنه والموت على موعد . فأخذته الرعدة لا خشية الموت ولـكن خوف الحاكم العادل ، جلت قدرته . فأنت تعلم بأى وجه سيلاق صديقك ربه . . . »

وتلك الندامة لعمرى حسنة تسجل للافونتين .

محمد حسنى عبد الله

فيشترون من تلك البضاعة المزجاة ويرتأون آراءهم الفائلة ، وإذا بها ترن فى المسامع وتطوف بالمجامع ؛ فيهتف التاريخ بأسماء : شوبنهور ونيتشه والمعرى وتوفيق الحكيم وغيرهم ...

ومن عجب أن يجور هؤلاء الأعلام على النساء بما يخالف العرف وينافى الواقع ، ليكتسبوا من هذه المناوأة والمكابرة شهرة جديدة وصيتاً بعيداً . وطالما جار الثالبون على أنفسهم فتعسفوا وتكلفوا وكان خبطهم خبط أعشى . أليس منا أمهاتهم وأخواتهم وخالاتهم وجداتهم ، ولم لا أقول زوجاتهم وبناتهم ؟ ثم أستغفر الله مما وزل به اللسان ، فإن كفيف المعرة كف نفسه عن المرأة ، ولعل له عذراً ، فلو كان لكل عينيه بجمال الغيد ولم يكن دميما لاجتاحت قلبه واحدة من النساء غيرت معالم اللزوميات ، فلم يطعن علينا فيها بالتائيات ، ولما أدارها معنا وقيعة سجالا وحرباً عوانا ؛ فإن فى كل بيت منها لسيفاً وسنانا . ولقد بنى أبو العلاء صروح شعره على ذم المرأة وما دل عليها ، وكان منها أو إليها ، فالدنيا عنده أم دفر ، وهو أبداً ينحت أثلها ويبرى عودها ، معتقداً أن كل خطب فيها سببه المرأة ؛ فهو هدام معطل ، لو أوتى قوة شمشون وكان مسبل الشعور لدك بين العالم وأقفر الوجود . ومن يدرى فلعل شوبنهور أو نيتشه وسواهما من أعداء المرأة فى الغرب والشرق إذ كرهوها وصفدوها ، كانت وراء كل منهم امرأة أفسدت عليه نعيم الحياة ، وسودت فى عينيه بياض الدنيا ؛ فحسب الغدر أو الكيد كله من شيم النساء .

وإذا كان لهؤلاء الأعداء الغابرين معاذيرهم فى الغضب على النساء وفى عهود كن مستضعفات ، فأى عذر للناقمين منهن فى عصرنا ؟ وكأن هذه النقمة من أكابر الكاتبين فى أيامنا خصومة بهم أو دلالة عليهم ، فاذا ركد لهم صيت أو فتر من حولهم إعجاب هزوا لأنفسهم رياح الشهرة بمقال يرسلونه ، أو رأى يقولونه ، فى شأن المرأة ، فقذفوا بالباطل عليها ، ودعوا الرجال إلى البطش بها ، وعد الحقوق التى تطلبها ضرباً من الأوهام والأباطيل . من هؤلاء الأعداء المكابرين الكاتب المصرى توفيق الحكيم الذى يجهر بعدائه للنساء فى كل نهزة ، ويسخر قلمه للسخر منهن ومن ثقافتهن . وما كان هذا منه إلا أعوبة أدبية يلوح بها فى وجوه الناس ليزيدهم لآثاره تقديراً وعليها إقبالاً . ولعلهم كانوا كذلك بادىء الرأى ، أما وقد عرفوا أفانينه فإن توفيقاً أصبح لدى العارفين أديب تربص وانتهاز ، فمنذ عهد قريب دعا قومه إلى تعدد الزوجات ، وحين نشر الدكتور طه حسين كتابه الأخير « أحلام شهرزاد » ضاقت عين الحكيم عن تسريح النظر فى هذه الأحلام التى صور فيها الأديب العميد « شهرزاد » فى رداء من الحصافة والذكاء . ولما رآها مرت أمامه شهرزاد التى صورها خليعة ماجنة . ومن قبل نشر الأستاذ توفيق الحكيم فصولاً عرى فيها المرأة من مواهب الفن فزعم أنها لا تحسن إنشاء القصص التمثيلية ولا تستطيع أن تكون موسيقية تبتكر الألحان ، وقد فاته من أدبنا القديم براعة المغنيات فى عصر بنى العباس ، وفى العصر الحاضر من أهل اللحون نساء فى المشارق والمغارب . أما الروايات التمثيلية فعهد العرب بها جديد ، ولننتظر فإن الزمان لم ينفد أمده ، وما زال الإنسان حياً ، فإن فى مأتى الدهر نجوماً ستنجم يكون بينها مؤلفات للمسرح وموسيقيات . ومن أعجب العجب أن تسكن عداوة الحكيم للنساء أشهراً لتكون وحياً جديداً للأستاذ عباس محمود العقاد ، فقد نشر هذا الأديب العظيم مقالين زعم فيهما أن المرأة لا تجيد من الفنون غير فن الرواية ، وكأن هذا الفن فى نظره أهزولة هينة على كل كاتب ، وقال إن المرأة ليست بشاعرة مبتكرة بل هى مقصرة ومكررة ، لأن الشعر ابتكار واقتدار ، وأنها لم تنبغ حتى فيما هو أقرب إليها وأحرى أن تتفوق به على الرجل وهو الرثاء ، وإذا كانوا يضربون المثل بالخنساء فإنه ليس فى ديوانها غير أبيات متفرقات فى البكاء لا ترتقى إلى منزلة الشعر السيار ، إذ كله تكرير لمعنى واحد ، ولا يصح أن يقال إنه معنى من معانى القريحة والخيال . وقال العقاد أيضاً : إن التصوير كالتمثيل والمرأة فيه غير مبدعة . ولم تعرف نابغة فيه خلقت دوراً من محض خيالها وتفكيرها كما يتفق لنوابغ الممثلين من الرجال . وهكذا رأينا هذا الكاتب الكبير يجرد المرأة من مزايا الإبداع والإجادة حتى فى صناعاتها الخاصة بها ، كالطهى والوشى والزينة والخياطة ؛ فزعم أن الرجل

يبذها فيها وينافسها ، ونحن نقول إن فى عديد شاعرات الغرب قديماً وحديثاً ، وفى شاعرات العرب اللواتى - روى شعرهن أبو تمام وأبو نواس ، أو التى ينشرن القريض بلغة الضاد أو بلغة الفرنسيين - ما ينقض رأى العقاد ؛ وفى الأديبات المعاصرات من أحرزت جائزة نوبل التى ما أحسب الأستاذ العقاد يزهد فيها ، وفى النساء ممثلات كساره برنارد وراشيل ، ومصورات لا يحصى لهن تعداد ، أليس فيما أشرت إليه حجة بالغة عليه ؟ ونحن لم ننس بعد مرثيته لفقيدة الأدب فى الشرق الآنسة « مى » .

فعداوة العقاد إذن كعداوة الحكيم وكلاهما أديب أعزب وعن النساء بمعزل ، بل ما دار لدى الأول بين يديه فى صحن داره كما يذكر هو فى كتابه « عالم السدود والقيود » غير خادمه الساذج ، وما وقفت فى مطبخه طاهية ولا جارية ، بل لم تخطر فى فناء بيته وحجراته امرأة يدعوها بأم أولاده ، والحكيم يعيش مفرداً متجافياً عن المرأة ، وقد آثر مرة إلفة حمار كما قال عن نفسه فى كتابه « حمار الحكيم » . ويثور بالمرأة أديب آخر يمزح مزاحاً فيه حلاوة وفيه مرارة هو الأستاذ المازنى الذى يتندر على المرأة ويستهزئ بها فى كثير من قصصه ومقالاته ، حتى أن زوجته وبناته لا يسلمن من أهكوماته وزرايته . وأحسب هذه الضروب من الأدب العابث بالنساء أصبح لدى معشر من أدباء العصر أفكوهة الفن وطرفة التجديد ، وما المرأة فى هذا الزمان إلا مستيقظة من سبات ، ناهضة من خمول وهوان ، فعلام يحول أدباؤنا دون تحررها ورقيها ، ويباهون بالمعاداة لها والزراية عليها ، وكان الأولى لهم أن يعالجوا مشاكلها ويتفقدوها فى مجتمعاتهم ، ويجعلوا منها شريكاً فى حياة كاملة طيبة ، وما بال هؤلاء الأعداء - وما جادت الأيام بأندادهم إلا على هامات العصور - يسخرون أقلامهم للهدم والتحطيم ، وقد شرفها الله فأقسم بها وما كان مدادها إلا ليشرق من سواده نور الحق والخير على بياض الأوراق ؟ ليتهم سخروها لرعاية المرأة ورفعتها ، ولسوف تأتى الأجيال القابلة فينظر أهلوها فى آثار هؤلاء الناقين على النساء ، فيرون أن بعضهم كانوا لاهين مباهين بأدب لحمته وهم وخيال وسداه زهو وتحريف ، ينتزعونه أحياناً من الأساطير ويرددونه فى الأدب الحديث باسم الفن والتجديد لقوم حرام عليهم اللهو والهزل والدنيا جادة فى اقتحام الأمجاد وبناء الأجيال ، وهكذا نراهم غير جادين فى آرائهم أو مخلصين لدعواهم ، ولو كانوا يريدون للنساء خيراً ونفعاً لأنشأوا لهن أدباً يبصرهن ويعصمهن ويجمع قواهن فى قوة الرجال فما ينبغى أن يتخلفن عن مسايرتهم فى ركب الحياة

يقول الراسخون فى العلم والنافذون بأبصارهم إلى عالم الغيب : إن فى حياة كل أديب امرأة كان لها تأثير فى توجيهه ونبوغه ، وهذا ما ردده توفيق الحكيم منذ سنين : « فمن أفواهكم نذينكم » يا أعداء المرأة ؛ لولا نساء أظلمت عليكم قلوبهن فلم تدخلوها لما كانت عداوتكم ، وإذا دعوتم إلى تحقير المرأة والبطش بها فإن وراء دعوتكم تشفياً وانتقاماً ، فقد يكون الدهر ابتلاكم بأهواء الحسان ، أو بلوتم زيوف النساء فتجافيتم عن الخوالص الصحاح

ثم ابحثوا أيها المنصفون تاريخ السرائر والنفوس ، فلن تجدوا منذ حواء واحدة من النساء قد نصبت نفسها لعداوة الرجل ، ولو بحثتم عن أعداء النساء منذ آدم لوجدتم فيهم الكثير ، تخلوا عنكم أيها الأعداء ، وحسبكم تسفيهاً للمرأة وتجريحاً ، وعلام هذه البغيضة منكم والقطيعة ، فما العمر مديداً حتى يحتمل فيه الكدر والخصام ، ولا فيه صفاء يدوم لإنسان .

(دمشق) **زواد سطا كبى**

موكب الحسن...

مَوكِبُ الحُسنِ تهادى | بينَ أرجاءِ الحيـاةِ
ضاحِكَ الإشراقِ طَلْقَ الـ | ـحرِ وضّاحَ السِّماتِ
ألهوى رنّحَ عِطفيـ | ـهِ بِسَكرى الأغنياتِ
والسَّنا رقرقَ مَسرا | هُ كأمواهِ القناةِ
خُذْ منَ البهجةِ ياشا | عرُ ما شئتَ وهاتِ

هذهِ الجنّاتُ ملءُ الـ | ـعينِ سِحرًا وانبهارا
ترقُصُ الأغصانُ فيها | رقصَ أعطافِ السُّكارى
ونسيمُ الليـلِ هفها | فٌ كأنفاسِ العذارى
والندى سِرُّ الليالي | قبّلَ الزَّهرَ جِهارا
والدياجيرُ تحـاريـ | ـبُ سُكونٍ للحيارى

ورأيتُ الحسنَ كالخيـ | ـرانِ يغدو ويروحُ
أطلقَ الصَّبوةَ تجري | خلفهُ لا تستريحُ !!
والهوى والوجدُ في جنـ | ـبيهِ نارٌ وجروحُ
والضحى والليلُ في كفـ | ـيهِ أسرارٌ تبوحُ
إنَّ هذا الكونَ جِسمٌ | والهوى للجسمِ روحُ

كلما أبصرتُ ذاكَ الـ | ـبدرَ فتّانَ المحيّا
والرُّبا والبيدَ والليـ | ـلَ وعنقودَ الثريّا
والندى والزهرَ والغيـ | ـدَ وأكوابَ الحُميّا
قلتُ هيّا عانقيني | يا مجالي الحسنِ هيّا
وتعالَيْ نمتلكْ | نا صبيةَ الدنيا سويّا !!

إن تبدّى الحسنُ شتّى | فهوَ في قلبي جميعُ !
أو تعرّى فلكمْ يُكـ | ـسى به الفنُّ الرفيعُ !
يا تقيَّ القلبِ غُضَّ الطَّـ | ـرفَ فالحسنُ خليعُ !!
لا تسلني عن شتاءِ النَّـ | ـفسِ والدنيا ربيعُ
كيفَ أشكو الجدبَ والإمـ | ـحالَ والوادي مَريعُ ؟!

الدنى مجـلى بشاشا | تٍ تهادت في حُلاها
والبرايا فتنَ سكـ | ـرى بأحـلامِ صِباها
تعبدُ الحسنَ إلـهًا | حُرّةً وفقَ هواها
وإذا ما صاغكَ اللـ | ـهُ شعورًا وانتباها
أحرامٌ أن ترى في | كلّ فتّانٍ إلـها ؟!

(كوم النور) أحمد أحمد العجمي

من شعر الأطفال

١ — الطيار الصغير

أنا طيارٌ صـغيرُ | لستُ أخشى ما يضيرُ
أنا في الجـوّ أطيرُ | فوق هامات الرياحْ ...

***

أنا طيّـارُ بلادي | أنا عنوانُ الجهـادِ
إن دعت مصرُ تُنادي | قمتُ أسعى للكفاحْ ...

٢ — البحار الصغير

أنا في الصبح أقومُ | ثمّ في البحر أعومُ
أنا بحّـارٌ عظيمُ | كلُّ حبّي للحياهْ ...

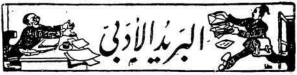
***

صاحبي النهرُ الجميلُ | ليس لي عنه بديلُ
كلُّ ما فيه جليـلُ | مُثبتٌ فضلَ الإلهْ ...

٣ — إخوتي الصغار

لي إخـوةٌ صغارُ | جميعُهم أبرارُ
أحبُّهم من مهجتي | كذاكَ هم أحبّتي
إن غاب يومًا والدي | أصبحتُ مثل القائدِ !
إن سرتُ يتبعوني | أو قلتُ يسمعوني
وهكذا الإخـوانُ | يضمّهم حنانُ ...

(المنصورة) علي متولي صلاح



كلمة بريئة

الصلة بين الكاتب والقارئ ... توثقها روابط المحبة والصدق والمعرفة والإخلاص ... والكاتب الذي يعمل على إيجاد هذه الصلة بينه وبين قرائه كاتب قد جدير بالاحترام ...

ولعل الأستاذ الجليل الدكتور زكي مبارك يعد الكاتب الاجتماعي الأول الذي يعنى بهذه الصلة ... فليس همه إنشاء الأدب المحض ... يسكبه في أرواحنا فناً يأخذ بالمجامع بل همه المجتمع الذي يعيش فيه يبحث في مشكلاته ... ويناقش في معضلاته ... ويشارك القراء أبحاثهم ويناقشهم آراءهم في أدب جم ... وتواضع كريم . هذا هو الدكتور زكي مبارك .

ويبقى الأستاذ سيد قطب يريد أن يعرف رأي القراء فيه ... ولعلي أتطوع لإبداء رأيي فيه . لا من ناحية قيمة كتاباته من الناحية الفنية الأدبية فهذا أتركه لأساتذة الأدب وجهابذة البيان . ولكن من ناحية أسلوبه في الخطاب والمناقشة مع الأدباء فهو مع الأستاذ مندور يعتمد على قلمه في سب الرجل والأخذ بخناقه ظالماً طاعناً في رجولته من أجل أدبه المهموس .

والأدب شيء والرجولة شيء ... والفن هو الفن ... ومع ذلك فلم نر الدكتور مندور إلا ناقداً فنياً أعجب القراء بحثه وتعليله ونقده وتحليله وشرحه وتأويله ... ومعارك القلم عند القراء « عوامهم وخواصهم » لن تجدي فيها دعاية ولا حرب أعصاب أو حملة عمادها الشتيمة والسباب . لا بل القارئ يهمه الحجة والمنطق والأسباب ... ثم ماذا ؟ قرأنا مقال « أيها الأدباء أعصابكم » فإذا بنا ننتهي من المقال لنعيد قراءته . وقد لمسنا حسن التوجيه في أدب ولباقة ... فإذا بالأستاذ قطب يهاجم الأستاذ دريني تحت عنوان غريب ما يصح صدوره من أديب :

« تصحيحات واجبة في الأدب والأخلاق » ، ثم قرأنا لنرى « تصحيحات » فإذا بنا نقرأ شيئاً آخر . فهل التصحيحات معناها اتهام الأستاذ دريني بالتحامل ... واتهام القراء بالعامية وأنه لا يتلقى معاييره الفكرية إلا من العوام وأشباههم ... . صحيح أن الأستاذ قطب تلميذ العقاد . وهل في هذا ما يغضب الأستاذ قطب . لا . الأستاذ قطب كاتب وأديب وشاعر وكل شيء ... والقراء يحبونه أن يظل هكذا بينهم ... وبقدر ما يحبونه يحبون آخرين ... فإذا شاء أن يعارك فبقلمه لا بلسانه . وبعد نقول للأستاذ : « أيها الأديب أعصابك » .

أحمد فهمي القاضي
المحامي

الأعراب

في العدد (٥٣٠) من مجلتكم الغراء ورد اسمي في رسالة مفتوحة من « أستاذ جليل » إلى رئيس تحرير مجلة آخر ساعة يشكوني فيها إليه لبعض ما كتبته بإمضائي

وقد فهمت مما كتبه الأستاذ الجليل – وقد فهمته بصعوبة لبلاغة اللغة التي كتب بها – أنه يتهمني بالتجني على إخواننا العرب لمجرد قولي في سياق مقال : (كل هذه المدنية التي شيدناها لم تعجب الزائر الكريم ، وإنما أعجبته قطعة من الصحراء أقيمت عليها أصنام ، وقف حولها حمير وإبل وأعراب) ...

هذه الكلمة الصغيرة أغضبت الأستاذ الجليل ، واتهمني من أجلها بأني نسيت تاريخ العرب والنبي والإسلام ، ومن حرر مصر ومن هدي مصر والقواد والخلفاء العظام ... الخ ! نسيت كل هذا لأني حاولت في مقالي أن أصف صورة واقعية يراها كل من يدفع ثلاثة قروش ثمناً لتذكرة ترام يحمله إلى الأهرام ... صورة الإبل والحمير المعدة لنزهة السائحين ولهوهم ومن حولها أصحابها فعلا من الأعراب ، أو على الأقل من المتزيين بزي الأعراب ، يلهثون وراء السائحين صائحين (بقشيش) !

وقولي : (أعراب) دون (ال) التعريف تعني أنني أقصد بعض الأعراب لا الأعراب كلهم أو على الأصح ... لا أمة العرب كما فهم الأستاذ الجليل ...

وفي كل أمة ، سواء كانت عربية أم مصرية أم فرنسية ، ينقسم الشعب إلى درجات وطبقات . فلو قلت أن في مصر ماسحي أحذية ؛ فليس معنى ذلك أن الشعب المصري كله من ماسحي الأحذية . ولو قلت أن من الأعراب من يقف وراء الحمير والإبل ؛ فليس معنى هذا أن كل العرب يقفون وراء الحمير والإبل

إن العرب أمة من الأمم ... أمة لها مزاياها ولها عيوبها . ومن حقنا أن نذكر عيوبها بنفس الصراحة التي نذكر بها مزاياها أمة لها تاريخ مجيد ... ولكن التاريخ لم يعد يكفي لتقدير الأمم في هذا الجيل .

إحسان عبد القدوس

من رسائل الرافعي: وحي القرآن باللفظ، القراءات

وحي القرآن باللفظ أمر اختلفت فيه الفرق الإسلامية؛ فللأشعرية قول، وللمعتزلة رأى، وللحنابلة مذهب. وثم فرق أخرى لها آراء مختلفة. ولا نطيل بذكر هذه الآراء فليرجع إليها فى مظانها من يريد الوقوف عليها، وأنت لو تدبرتها كلها لألفيتها مما لا يسكن إليه العقل، ولا يطمئن به القلب. وقد فزعت إلى الرافعى وهو من أئمة البلاغة لعلى أجد عنده شيئاً يثلج الصدر، ولكنه على ما أتى من قول بليغ، فإن النفس لا يزال فيها من هذا الأمر شيء

ولعلنا نجد من أئمة الدين، أو من غيرهم من العلماء المحققين، من يتولى بالبحث والتحقيق هذا الأمر الدقيق الذى يهم المسلمين جميعاً، حتى نصل فيه إلى مقطع تسكن إليه النفوس القلقة، وتستقر عنده العقول الحائرة

وهذا هو جواب الرافعى رحمه الله

يا أبا رية[1]: السلام عليك، وبعد. فإنك سألتنى مسائل دقيقة، تحتاج إلى الفكر وبسط الجواب وهذا ما لا قبل لى به فأنا مريض الدماغ حقيقة، ولكنى أجيبك بما قل ودل

أما سؤالك فقد كثر الكلام فى جوابه، والذى أراه أنا أن ألفاظ القرآن منزلة بحروفها ونسقها وإلا بطل الإعجاز، لأن الإعجاز لا يكون إنسانياً، وقد كان الوحى ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم فتعتريه حالة روحية وردت صفتها فى البخارى وغيره، وبها ينزع من عالم الحس فتتجرد نفسه الشريفة، فيرى الملك ويسمعه ويأخذ عنه، ثم يفيق فيؤدى ما أوحى إليه بحروفه، وهى حالة كانت شديدة عليه ولذلك تسمى (برحاء الوحى)، وكان جسمه صلى الله عليه وسلم يثقل فيها جداً ويتصبب عرقاً، إلى آخر ما ورد فى صفتها مما يدل على ما تلقى نفسه الشريفة فى تجردها وما يلقى الجسم فى هذا التجرد، ولا يمكن فى مثل هذه الحالة أن يكون للانسان وعى وفكر يؤلف به نسقاً فى الكلام كما توهمت، لأن هذا التأليف من أفعال المخ، ولو أمكن أن تكون الألفاظ من عنده صلى الله عليه وسلم لظهر فيها أسلوبه قليلاً أو كثيرا؛ ولما كان فى حاجة إلى نزول القرآن آية فآيتين إلى عشر، بل كان يحدث عن المعنى الذى ينطبع فى روحه جملة واحدة، وفوق ذلك فهذه حالة تستدعى وقوع التفاوت فى أجزاء القرآن وهو غير واقع، وأظنك لم تقرأ الجزء الثانى من تاريخ آداب العرب ففيه كل شيء ما عدا كيفية نزول الوحى، لأنى لم أتعرض لها إذ أردت أن يكون كتابى مقنعاً للمؤمن وغير المؤمن فجئت به من جهة العقل فى كل فصوله. ومن أجل ما بينت لك جزم العلماء كلهم أنه لم ينزل شيء من القرآن مناماً، لأن النوم حالة يستوى فيها الناس لتجرد أرواحهم

أما اختلاف القراءات أحياناً فى بعض الألفاظ فهو أدعى للاعجاب والإعجاز لا كما ظننت، لأن ملهم اللغة ومقسمها فى ألسن العرب على اختلاف قبائلهم أنزل ألفاظ القرآن بطريقة يمكن لهذه الألسنة على تفاوت ما بينها أن تتلوه. ومن المعلوم أن العربى يجمد على لغة واحدة وبعض العرب لا يستطيع أن ينطق غير لغته مطلقاً، كما تراه فى الجزء الأول من التاريخ، فكانت القراءات لهذا السبب وكلها راجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم، وهو تلقاها كذلك عن جبريل عليه السلام؛ ما عدا القراءات الشاذة والضعيفة مما نبه عليه العلماء

أنزل الله القرآن لهداية العرب وإفحامهم به، فكان من الواجب أن تكون تلاوته متيسرة لهم على السواء، وهذا لا يتأتى إلا مع أوضاع فى بعض الحروف، وهذه الأوضاع هى القراءات؛ فمن من العرب كان يستطيع أن يؤلف لكل هذه القبائل كلاماً واحداً لا يعسر على ألسنة قبيلة من قبائلهم إلا أن يكون فى الناس يومئذ إله لغوى ... ؟

من هذا ترى أن القراءات هى معنى من معانى الإعجاز انتبه إليه العرب ولا يمكن أن يدركه غيرهم ممن جاءوا بعدهم، ولهذا لا أستحسن فى رأيى أن يقرأ بها الناس اليوم على اختلافها، إذ لا حاجة إلى ذلك بعد أن اجتمعت الألسنة على لغة واحدة، وقد ظهرت للقراءات فائدة تحقق معنى الإعجاز فيها، وهى تسهيل التلاوة على بعض أصحاب الألسنة المعوجة كالمغاربة ونحوهم. أما فى مصر فلا حاجة إليها

هذا ما يحضرنى وأظننى كتبت فى الجزء الثانى فى هذا المعنى ما فيه كفاية. أما صحتى فهى هى، ولى رغبة شديدة إلى الكتابة والعمل، ولكن الطبيب ينهانى عن ذلك، لأن الدماغ مريض، ولله الأمر أسأله تعالى أن يعيد على عافيتى ويزيدها.

والسلام عليكم ورحمة الله. (مصطفى)

(المنصورة) محمود أبو رية

(١) لما توثقت عرى الصداقة بينى وبين الرافعي كان يكتفى فى رسائله إلى بذكر كنيتى فحسب وقد ذكروا أن من الاكرام الدعاء بالكنية قال رسول الله (ص) لصفوان بن أمية أنزل (أبا وهب) (أبو رية)

تنبيه وتنبيه

كنت قرأت فى مقال للأستاذ الفضال محمد عبد الغنى حسن (ع ٥٢٦ من الرسالة) إشارته إلى قول الشاعر:

إذا كنت فى حاجة مُرسلاً فأرسل حكيما ولا توصه

ثم نصه على أن ذلك من قول (شاعر إسلامى). وأحب أن أذكر هنا أن نسبة هذه القصيدة إلى قائلها أمر مختلف فيه، ولكن الأستاذ الجليل أحمد يوسف نجاتى ينسبها إلى (الزبير ابن عبد المطلب) عم الرسول عليه الصلوات فى ترجمة طويلة كتبها عنه بالعدد الصادر فى يناير عام ٩٤٠م من صحيفة دار العلوم. فقد أورد الأستاذ القصيدة ثم قال:

« قد ينسب بعض الرواة شيئاً من هذه الأبيات إلى عبد الله ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، ولكن الثقات ينسبون الأبيات كلها إلى الزبير بن عبد المطلب». وأورد تأييداً لذلك ما جاء فى جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى من تأكيد نسبة الأبيات إلى الزبير

فهذا أحد التنبيهين أتوجه به إلى الأستاذ النابغة محمد عبد الغنى حسن. أما التنبيه الثانى فأخص به أستاذنا الجليل (نجاتى) فهو قد ذكر فى مقاله - الذى أشرت إليه - عن الزبير أبياتاً للأخطل فى وصف الخمر جاء فيها:

كمت ثلاثة أحوالٍ بطينتها حتى إذا صرحتْ من بعد تهدار
آتت إلى النصف من كلفاء أترعها علجٌ ولثمها بالجفن والغارِ

ثم قال: كمت جمع كميت وهو الأسود. وجمع على فُعل لتوهم واحد له على وزن أفعل. ثم استطرد الأستاذ إلى تعليل تسمية الخمر كميتاً، وحدد صفة هذا اللون بين الألوان. وأقول إنه يبدو لى أن صحة الكلمة فى البيت: كُمِّتْ ثلاثة أحوالٍ. أى بالبناء للمجهول من الفعل (كمّ) بمعنى غطى وستر، فالشاعر يريد أن هذه الخمر غطيت بالطين فى راقودها ثلاثة أعوام كوامل حتى صرحت وتكشف عنها زبدها ... إلى آخر ما ينص عليه من معنى. هذا وللأستاذين منى عظيم التحية ووافر التقدير (جرجا) محمود عزت عرفة

دراسات عن مقدمة ابن خلدون

نملن إلى الأدباء الأفاضل الذين طلبوا من إدارة الرسالة كتاب (دراسات عن مقدمة ابن خلدون) للعلامة الكبير الأستاذ ساطع الحصرى، أن مؤلفه الفاضل لم يستطع إصداره إلى مصر ولا إلى غيرها من البلدان، لأن السلطات اللبنانية والسورية تحظر ذلك فى الوقت الحاضر. وبهذه المناسبة نذكر أننا أخطأنا تقدير الثمن لهذا الكتاب القيم، فإنه يباع فى لبنان وسورية بست ليرات سورية، وهى تساوى بالعملة المصرية ستين قرشاً، وهو مبلغ لا يزال ضئيلاً فى جانب ما تكلفه الكتاب من الجهد فى إعداده ونشره

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)